

طبعة محدودة

سياسة امرأة

جميلة العلايلي

حقوق الطبع والنشر محفوظة



التركة الأدبية لجميلة العلايلي

www.gamilaelalaily.com

لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو تخزينه في نظام استرجاع أو نقله بأي شكل أو بأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو عن طريق التصوير أو التسجيل أو غير ذلك دون إذن خطي مسبق من الناشر


أم كلثوم
جميلة العلايلي

عن جميلة العلايلي

جميلة العلايلي، ولدت في مدينة المنصورة على ضفاف النيل، حيث تشبعت روحها بعذوبة الماء وبهاء الطبيعة، نشأت في كنف عائلة متوسطة الحال، محافظة على التقاليد الأصيلة، إلا أن عقلها كان طليقًا منذ الطفولة، يتساءل ويتأمل، ويرفض القيود التي تفرضها الأعراف على المرأة.

بدأت تراسل مي، فتدور بينهما أحاديث ورسائل مليئة بالمعاني العميقة والأسئلة الإنسانية الكبرى، فتعلقت بها وتبنت روحها الفكرية، وتعلمت منها كيف يكون الأدب نافذة للحرية. كانت مي بمثابة المعلمة والملهمة التي أيقظت فيها شغف الكتابة.

في تلك الفترة، كانت هدى شعراوي، الزعيمة النسائية والمناصرة لقضايا المرأة، قد شقت طريقها كصوتٍ يدعو إلى تحرير المرأة في مصر، وإلى منحها حقوقها في العمل والمشاركة المجتمعية. وجدت جميلة في هدى مثالاً للمرأة المستنيرة المتمردة على القيود.

انضمت جميلة إلى جماعة "أبولو" الأدبية التي أسسها الشاعر أحمد زكي أبو شادي، فكانت من أوائل الشاعرات اللواتي انضممن إلى هذا الصرح الأدبي، الذي مثّل ثورةً في الشعر العربي، جامعًا شعراء الرومانسية ومتبنيّي الحداثة.

كانت جميلة، بفضل روحها المفعمة بالحرية، مؤسسةً للعديد من الجمعيات الثقافية والاجتماعية، فأسست "جامعة أدباء العروبة" بهدف دعم الأدباء الشباب ونشر نتاجهم الأدبي، وأسهمت في إنشاء "مجمع الأدب العربي" الذي أصبح منبرًا للإبداع الأدبي.

وفي ميدان الشعر، أصدرت جميلة ثلاثة دواوين شعرية تميزت كل منها بأسلوب مختلف. ديوانها الأول، "صدى أحلامي"، الذي صدر في عام ١٩٣٦، جاء حاملًا بين طياته مزيجًا من التأملات الرومانسية في الحب والجمال والحياة.

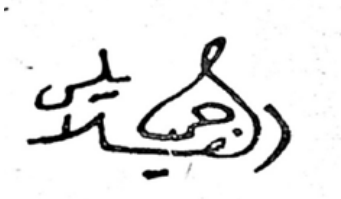
لم تقتصر إسهامات جميلة على الشعر فحسب، بل امتدت إلى الرواية، إذ كتبت عددًا من الروايات التي عبرت من خلالها عن قضايا اجتماعية وروحية. يمكن تصنيف رواياتها حسب الموضوعات التي تناولتها: فقد كتبت عن الروحانية والتصوف، والمرأة والمجتمع، والحب والطبيعة.

وفي مجال التأملات، ألفت جميلة كتبًا من نوع خاص، تمزج فيها بين السرد والروحانية، مثل "أنا وولدي" و"أرواح تتآلف"، حيث تتناول قضايا فلسفية وإنسانية، وتغوص في عمق النفس البشرية بحثًا عن المعاني الخالدة للوجود.

أما عن تأثيرها، فقد مثلت جميلة العلايلي أحد الأصوات الأدبية الرائدة في مصر والوطن العربي، إذ كانت من أوائل النساء اللواتي واجهن المجتمع بأدبهن، وحملت على عاتقها دورًا في تحرير صوت المرأة ودفعه ليصبح مؤثرًا في المشهد الثقافي.

وفي حياتها اللاحقة، اعتزلت جميلة الحياة العامة تدريجيًا، حيث انسحبت من المجتمع وانقطعت عن الحوارات الأدبية، واتجهت نحو التأمل والتصوف، حيث ركزت على الكتابة الروحية التي تهدف للارتقاء بالنفس وإيجاد السلام الداخلي.

في عام ١٩٩١، رحلت جميلة العلايلي عن الحياة، تاركةً وراءها إرثًا أدبيًا وروحانيًا عظيمًا، وما زالت أعمالها شاهدة على تجربة أدبية فريدة لامرأة امتلكت شجاعة الكلمة وصدق الروح، ليبقى صوتها في الأدب العربي خالدًا.



سياسة امرأة

جميلة العلايلي

الطبعة الثانية ١٩٧٢

سياسة امرأة

ظل الرجل ينتظر حكم القدر في شيء من الملل تخفف من حدته آنا حلاوة الأمل ويدنيه من اليأس أحيانا خوفه من نهاية الأجل. مع أنه لم يزل في مقتبل العمر، لكن الحياة موصولة بالقدر تخطو متعجلة أو تسير على مهل. وطال انتظار الرجل الخاضع لرحمة الله ينتظر القضاء الثابت في علم الغيب، وفجأة... فتح الباب ودخل القدر ليعلن حكمه، فجمدت عينا الرجل، وسقط رأسه بين يديه فوق المنصة... وكانت غيبوبة طويلة... ليس الرجل جبانا فيفزع من حكم الاعدام، انما أحس الخسارة الفادحة، وقد كان يأمل أن يعيش ما تبقى من عمره سعيدا... وذابت مشاعره في أعماق المجهول، وراح يستجلي في الظلام أول السبل على طريق العدم المحتوم. وليس من السهل على المبصر الابصار في الظلام، ولا استيضاح الغوامض في الأجواء، ولا استفسار الألفاظ لادراك معانيها مادام اليأس ثبت قوائمه فيغدو كانسان حكم عليه بالإعدام. وعاد الرجل يطالع صورة الاعدام كما يتصور، ويتطلع إلى الحياة كأنه في آخر لحظة من لحظاتها ولم يعد يصله بها غير الجلاد وحبل المشنقة... ومجرد تخيلهما يطبع على عينيه صورة القسوة مرسومة على وجه الجلاد، كما يتصور حبل المشنقة المعبر الأخير من الحياة إلى الموت... وليس في مقدور المحكوم عليه بالموت أن يحب أو يكره جلاده لأنه يد القدر مصدر الحياة أو الموت.

وظل الرجل يكرر في غيبوبة صيغة الحكم الصادر عليه، ويتطلع الى صورة فتاته ويتمثل ورق الكتاب وخطه... وطال تأمله ولم ينبهه الا تكرار دق الباب في عنف. وقام متعثرا كأن أمدا طويلا مر عليه في غيبوبة، وفتح الباب... واذا بالطارق يسلمه رسالة من انسان سعيد لاه، وتمتد يده في بطء متمنية ألا تمتد. اذ من العسير أن تتعانق السعادة مع الحزن في لحظة يأس قاتل... وقرأ البرقية التي أرسلها عظيم يملك الملايين اليه هو الفقير المعدم الذي لم يعد يملك حتى حياته.

ويأمر صاحب الرسالة بارسال بضع غزلان جميلة في القطار السريع داخل أقفاص خاصة، واذا تعذر الأمر فترسل في قطار خاص - ويقول صاحب الأمر أنه يجب أن تصل الغزلان صباحا لتهدي مساء إلى الحسناء التي افتتن بها كما افتتن هو بفتاته. وتصور أنه بعث الغزلان توا واستقبلتها الحسناء كهدية في غفلة عن الجهد الجبار الذي بذل لتقبلها بابتسامة هادئة تتبعها كلمة شكر عابرة... ولو أن ثمن غزال واحد منح جائع أو محروم أو أنقذ مكروبا أو عالج مريضا لكان ذلك أجدى وأقرب إلى الله... وسرح بخياله في دنيا العظماء اللاهين والغانيات العابثات... وتصور التضحية التي يبذلها هؤلاء في سبيل مرضاة أولئك لقاء لحظة متعة أو لحظات... وتنهد في مرارة، وصمت صمت اللوعة الخرساء وخاطب ربه بصوت مخنوق

يا رب وهبت لفريق ثروة طائلة من المال ولفريق ثروة وفيرة من الحس النبيل... ليتك يا رب وهبت هؤلاء بقدر

وأولئك بقدر... لكيلا يتمادى الطغاة في اسرافهم، ويجني الخاضعون قسوة الإذلال مرغمين

وشعر بمس سحري نبه وعيه فتدارك تحديه للخالق، وخشع مستغفرا مغمغما

غفرانك ربي... لك في ذلك حكمة جليلة لا يعلمها الا أنت فيها الخير على كل حال ونحن لا ندري... تعاليت ربي... غفرانك

وصح عزمه على أن يقطع علاقته بالفتاة احتراما لرجولته وتحقيقا لرغبتها، وسرعان ما جمع رسائلها وأوصى خادمه أن يسلمها اليها يدا بيد بعد أن يموت، فبذلك يمكنها أن تحرقها، ويحول بين المتطفلين لمطالعة أدب فتاة متكبرة ظالمة، فيرثون للميت الشهيد المظلوم، ويلاحقونها بنظرات الاحتقار. لكن ماذا عساه فاعلا بكتابها الأخير... هل يرده اليها بدون تعليق؟ لقد ضاع مصدر الوحي، فانقطع الايحاء والوحي... رفضت الفتاة يده لأنه متزوج، وبذلك قضت عليه بالموت. وظنته رجلا لا مبدأ له ولا يؤمن جانبه... فما دام قد سهلت عليه خيانة امرأة تربطه بها شريعة مقدسة منذ أعوام طوال وهي أم أولاده فأحرى به أن يخون امرأة حديث العهد بها... ويطرق الرجل محزونا ويغمغم

يا اله السماء أبجرة قلم تلغي الفتاة حياتي وحب من سجل الأحياء؟ ولكن أية غرابة في هذا؟ أليست بشرية تذبح

الحيوان لتأكله وتدوس النملة ولا تشعر بآلامها، وتجني الزهرة لتطرحها عند مواطئ النعال؟

حبس نفسه في نطاق التفكير في الوقت الذي اعتزمت فيه الفتاة أن تتركه إلى الأبد خشية اتهامها باختطافه من زوجه. اذ لن يصدق الناس أنه أحبها وآثرها عليها فهي الجانية أمام الزوجة والمجتمع... واستبد بها هذا الخاطر، فتصورت اليأس القاتل، والألم الممض الذي يخيم على حياة الزوجة اذا فقدته، وشعرت برغبة ملحة تدفعها للتعرف على زوجته لترى ان كان على حق في كراهيتها أم أنه من الرجال الذين لا يقيمون للزواج حرمة أو تقديسا؟... واستطاعت أن تستعين بصديقة لها لتحقيق هذه الرغبة. ولم تمض برهة حتى نشأت بينها وبين زوجة الرجل صداقة متينة بعد أن انتحلت اسما غير اسمها، وحرصا على ألا يراها الزوج جعلت اللقاء في منزل صديقتيهما كأن الصدفة هي التي تجمعهما. وفي لباقة استطاعت أن تعرف منها كل شيء عن دخيلة حياتها الزوجية. ولما أنست الزوجة اليها فتحت لها صدرها، وكشفت لها عما تعانيه من فتور زوجها، واعراضه وسوء معاملته، وأسرت اليها أنه بلغها أن امرأة فاجرة تحاول أن تختطفه منها وتستميله اليها بشتى أساليب الاغراء المزرية... وبكت الزوجة في مرارة بكاء قطع نياط قلب الفتاة، ثم أقسمت، وهي تجهش بالبكاء، انها لن تتوانى عن شج رأس هذه المرأة التي أفسدت حياتها لو رأتها في أي مكان

وهنا قاطعتها صاحبة الدار صديقتهما وكانت تعرف القصة من صديقتها الفتاة قائلة

قد تكون هذه المرأة بريئة وزوجك هو المخطئ... أليس من الجائز أن يكون هو الذي غرر بها وادعى أنه غير متزوج ورغب في الاقتران بها

فدافعت الزوجة في حماسة عن زوجها متهمة المرأة بأشنع الاتهامات... ولم تجد الفتاة وسيلة لتخفيف حدتها غير ملاطفتها ونصحها بضرورة العناية بملابسها وزينتها لتبدو أمامه دائما جميلة، كما تهتم بتنسيق البيت، وتجديد نظامه من آن لآن لتشعره بتجديد حياته فان هذه الأشياء البسيطة لها أثر فعال في تحويل عواطف الرجل... اذ لوحظ أن الرجل يمل رغم أنفه... المرأة العابسة المهملة التي لا تعنى بغير طهي الطعام الضروري، وغسل الملابس، وتنظيف البيت نظافة آلية، فلا يجد الرجل أي فرق بين غرفة نوم منذ عشر سنين وبينها الآن غير ما بلي من الاثاث والفراش... أن عواطفه كالاثاث تماما في حاجة إلى التجديد واصلاح ما أتلفه الزمن.

واستراحت الزوجة لهذه النصائح، وقامت بتنفيذها على أمل أن تستعيد حبه.

ولكن الرجل كان في شغل شاغل عنها، يترك بيته مبكرا ويعود اليه بعد أن يقضي شطرا من الليل جالسا وحده على صخرة عالية قرب النيل يفكر فيما عساه أن يفعله ليحظى بفتاته التي بات خيالها لا يفارق حسه كأنها حقيقة ماثلة... وتغلبه شجونه فيبتسم في مرارة مغمغما

مسكينة فتاتي... لقد سار بها الحذر إلى أقصى حدود الاستهانة بالرجولة ثم الاستخفاف بانسان يحب بروحه في حدود الروحانية راغبا في أن يصون هذا الحب في كنف الزوجية

وبكى للرجولة المقهورة، وحطم قلمه الذي كان يحركه بين أصابعه، اذ عجز عن كتابة رسالة لها ليودعها حبه وآماله، ورمى بحطام قلمه من النافذة التي تطل على النهر ليجري مع الأمواج مخاطبا الموج

انك مثلها... تثير في نفسي كل شيء وأنت تجري كأنك لا تأبه لأي شيء

وهنا تزاحمت خواطره كما تتزاحم الأمواج إذا عصف بها تيار جارف، وطال تأمله حتى أوشك أن يفقد وعيه، ثم نبهته نسمات الليل المعطرة بأريج زهور الحدائق المجاورة للنيل، فنظر إلى السماء نظرة خضوع ورجاء، وخاطب الله جل شأنه بعد أن انتصب واقفا في خشوع كأنه ماثل بين يديه:

يا الهي اني ماثل بين يديك لا لأقدم حسابي وانما لأسألك قبل أن تسألني كيف وزعت الحظوظ؟ وعلى أي قياس؟ وبأي الموازين توزن النيات والأعمال؟ ولماذا يكون المنح في كرم لفتاتي ويكون المنع من حظي؟ أنت وحدك يا رب الخالق القادر القوي المالك... وأنا عبدك الضعيف أترى يكون حكمك عليّ في الآخرة كحكم فتاتي عليّ في الدنيا؟ يا

رب أنت أعلم بالسرائر... أنت الذي فتحت قلبي لحبها وقيدت روحي بها فاربط يا رب بيني وبينها.

وعاد الى مكتبه فعاد اليه حنينه اليها، ووجد نفسه يسطر لها كتابا يقول:

ارتضيت حكمك يا قدري الجائر، فهلا سمحت بلقائك بضع دقائق لأقدم اليك قصة كتبتها وأخشى ألا ينتفع بها الورثة وهي كل ما أستطيع أن أتركه لهم من ثروة تدر عليهم ربحا يحفظ لهم الحياة المتواضعة على الأقل؟... انني في طريق رحلة طويلة لن أعود منها... وليس هنا من أأتمنه على وصيتي سواك فهلا حققت رجائي بحق من سواك؟

تأثرت الفتاة برسالته فسمحت له بلقائها كي تقنعه بوجهة نظرها وفي نيتها أن تكون أمينة على الوصية. ولما تقابلا بادرها بالعتاب والملام ولكي تقطع عليه لومه طلبت القصة لتطالعها، وآلمها أن تراه هزيلا شاحبا فتلطفت راجية أن تعرف خلاصة القصة فقال:

هي قصة فتاة ولدها فكري وغذتها عواطفي وجسمها خيالي... خرجت من أعماقي واستوت أمامي انسانا، فلما أردت أن أحتفظ بها لتعيش لي وحدي، لأشعرها أنني اصطفيتها من دون النساء جميعا نفرت وتمردت

واشتمت الفتاة من رائحة أنفاسه الصدق والإخلاص فترفقت به، وأطرقت مليا واجمة حيث قام في نفسها صراع بين عطفها عليه ورغبتها الصادقة في اسعاده، وبين خوفها على زوجه من أن يمسها

الشقاء بسوء··· ومر بذهنها كثير من الأفكار وأخيرا اضطرت إلى مصارحته متظاهرة بحزنها الشديد لنقل والدها إلى أقصى الصعيد، ووعدته أن هذا السفر فرصة لاختبار عواطفهما على طريقة المهاتما غاندي··· فاذا ثبت بعد طول فراق··· وليكن عاما كاملا··· أن كلا منهما متعلق بالآخر، فسوف تحزم أمرها وتضرب بأقاويل الناس عرض الحائط وتعتمد على الله راضية به زوجا··· على شريطة أن يحاول في خلال هذا العام أن يعاشر زوجته معاشرة طيبة كاملة فيقبل عليها ويبادلها حبا بحب. ولما اعترض بأنه لا يستطيع أن ينافقها··· أكدت له أن ذلك ليس نفاقا ولكنه حق مشروع وواجب ملتزم به··· وافترقا بعد طول جدال وقد اتفقا بعد أن أقنعته بضرورة تنفيذ رغبتها إذا أراد أن يجمع الله بينهما··· وتركته على أمل أن تلقاه لقاء أبديا بعد عام.

وبدأ الرجل يستعيد أمله الذاهب ليعيش على ضوئه ريثما يقضي الله أمرا كان مفعولا. واستسلمت الفتاة لتفكير طويل أمضها، وأسلمها للسهاد المضني، وأخيرا صح عزمها على أن تستسلم لمشيئة الله··· وكتبت اليه بعض رسائل تفيض رقة وعذوبة وأملا ثم انقطعت رسائلها··· فلعب الشك بذهن الرجل وأسلمه للحيرة والقلق، وبينما كان سارحا في خضم تفكيره المضطرب جاءته رسالة منها كتبتها بيد مرتعشة، وبخط متقطع الحروف كتبت تقول انها مرضت مرضا شديدا وبناء على تصوير الأشعة قرر الأطباء إجراء عملية جراحية لها ولا تدري متى؟··· وعلى أثر هذه الرسالة وصلته رسالة من صديقتها تخبره أنها تكتب اليه بناء على أمر صديقتها، حيث أنها نسيت أن تحذره من ارسال خطابات باسمها لتركها المنزل واقامتها بالمستشفى. ثم صارحته

بأنها متألمة جدا لمرض صديقتها العزيزة منوهة له أنها مصابة بمرض خبيث... وقد كتم الأطباء والأسرة عنها ذلك حرصا على حالتها النفسية، ولكيلا يمسها انهيار قد يفسد العملية... وطلبت منه أن يدعو الله لها بالشفاء.

وارتاع الرجل واختل توازن تفكيره، وبات لا يدري من أمر نفسه شيئا، وانقطعت رسائلها وهو لا يعرف عنوان صديقتها ليتصل بها كي يطمئن عليها... وانتظر في هلع وقلق وبعد شهور أخرى قضاها كالمحموم لم يحسن خلالها عملا، شارد اللب، مشتت الفكر، حبيس خواطر اليأس والحرمان.

ولما عيل صبره اعتزم أن يسافر إلى البلد الذي انتقلت أسرتها اليه ويتحرى من جيران المنزل عنها... وبينما كان يتأهب للسفر جاءته رسالة من صديقتها تنعيها اليه، وتنقل له وصيتها الأخيرة، وهي أن يعني بزوجه وأولاده وأن يعيش لهم، وأفهمته أنها ماتت بعد اجراء العملية بأيام وكان في نيتها أن تكتب اليه لتدعوه إلى مقابلة والدها لخطبتها بعد تمام الشفاء.

ونزل النعي على نفسه نزول الصاعقة واستسلم للحزن وآلام الفراق الأبدي... ولم تنس الصديقة أن تنبهه إلى أن الأسرة عمدت إلى عدم نعيها في الصحف، حرصا على حياة أمها المريضة بداء القلب ريثما تتحسن حالتها ولولاها لجرت مراثيها في الصحف أنهارا.

ولزم الرجل بيته مضطرا محاولا ألا يشعر زوجته بمصابه الأليم متكلفا مبادلتها الحب والحنان والود والوفاء مرضاة لروح الحبيبة التي كان

يشعر بوجودها معه ليل نهار... ولم يلبث أن تكلف حسن معاملة زوجته حتى أصبحت عادة له، ولم تلبث العادة حتى أصبحت ضرورة وشجعه على ذلك حب أولاده له والتفافهم حوله وفرحهم بهذا التآلف.

ومرت الأعوام بعضها آخذ برقاب بعض، وقد ألف حياته الزوجية غير ملول ولا متبرم، وكبر ابنه البكر وتخرج في الجامعة وتسلم عمله واستطاع أن يعول نفسه.

وذات مساء بعد العشاء استأذن الابن والده ليخلو اليه بعد أن صارح أمه بما يجيش في صدره، ولكنها آثرت أن يفضي بسريرته إلى والده مباشرة ليكون وقعها أحب اليه وأيسر منالا.

واضطر الولد أن يصارح والده بعد تردد وتجمل برغبته في الزواج ليصون نفسه من عثرات الحياة وفتنة النساء اللاهيات، ورحب الوالد برغبة ولده في سرور أكيد، وسأله عمن اختارها، فأخبره أنها زميلة له، سره منها دماثة خلقها ومتانة دينها وقوة حصانتها.

وبارك الوالد حسن اختيار ولده، وخصوصا بعد أن سأله عن والد الفتاة وتأكد من حسن سمعته وطيب عنصره وسمو خلقه. وعندما سألت أمه عن اسم أم العروس أبى الوالد أن يلجأ إلى النساء في مثل هذه الحالات لأن المرأة بين حالتين... اما محبة فتبالغ في الاطراء والمديح... أو عدوة فتبالغ في الذم والقدح، مؤكدا أن البنت عنوان أمها، دائما فما دامت البنت على جانب كبير من الخلق القويم والحصانة اللغوية والجمال الوقور فانها مثل واضح لأمها بلا ريب.

وتقدم والد العريس مع ابنه إلى والد العروس ليطلب يد ابنته فرحب راجيا أن يترك له فرصة لسؤال العروس وأمها.

ووافقت العروس دون تردد ورحبت الأم. ولما حان ميعاد تقديم الشبكة... ودخلت العروس لتحيي والد العريس فرحت أم العريس لمرآها وهللت لطلعتها وبهاها... وعلق نظر الوالد بها ولم يتحول عنها، وظل مأخوذا كأن قوة سحرية خفية جذبته اليها، ولم يعد إلى وعيه الا بتنبيه ولده له ليتناول كوب الشراب منها... واندفعت الذكريات لمرآها في رأسه... انها تشبه تماما حبيبة قلبه التي ذهبت لغير رجعة... لكأنها هي بجمالها وهدوئها واتزانها ولولا السنين الطوال التي مرت... لأيقن أنها هي... وظل المسحور في مجلسه، يحملق في العروس آنا ويطرق أحيانا حتى دخلت أمها بعد أن تعجلها زوجها أكثر من مرة وهي تجيب وتعتذر بالاشراف على طعام العشاء لعدم اطمئنانها إلى الخدم... وأخيرا وتحت الحاح أم العريس لرؤياها... أقبلت في رصانة... وما كادت تصافح أم العريس حتى نظرت اليها في دهشة... انها تذكر هذا الشبه وعلى وجه التحديد رأته منذ أكثر من عشرين عاما، ولكن لسذاجتها وقصر نظرها، لم تهتم بالأمر... وظنت أن الله يخلق من الشبه أربعين كما يقولون.

وعندما مدت يدها لتصافح والد العريس انتفض وارتجف، ونظر في وجهها ولم يتمالك نفسه فقبض على يدها، ولم يتخل عنها حتى جذبتها في هدوء وحذر ناظرة اليه دون أن تشعره بأن أمرا جديدا قد وقع ولم يكن في الحسبان. وأراد أن يسمع صوتها طويلا... اذ شعر أن

صوتها يشد... قلبه ويعيده الى الماضي البعيد فقال وهو يغالب اضطرابه ببسمة هادئة:

أهلا وسهلا تشرفنا

ثم أعقب بشفتين مرتعشتين

من يراك يظن أنك الأخت الكبرى للعروس لا أمها.

فقالت في لطف ودعة

شكرا على اطرائك اللطيف

ثم أردفت وعلى شفتيها بسمة خاطفة

أفهم من ذلك أنني لم أزل صبية؟

فنظر اليها بمعنى

تماما

ثم قال:

كأنك ابنة الخامسة والعشرين.

وحدق فيها طويلا... كأنه يقارن بينها وبين خيال ما زال يعيش في رأسه.

وعقب زوجها:

كلما قلت لها ذلك لا تصدقني، من يراها يظنها أختي.

وضحك مردفا:

بل يظنها ابنتي مع أنها

فعقبت عليه وهي تضحك بصوت مرتفع

أكبر منه

وضحك الجميع لضحكها عدا والد العريس الذي ظل واجما مرتبكا يغالب انفعاله.

وأرادت أم العريس أن تخرجه من تفكيره، فقامت إلى البيانو لتعزف لحنا تحيي به العروسين... وشمل الجميع جو الفرح والبهجة تتخلله الدعابات البريئة والطرائف المسلية.

وغادر والد العروسة الغرفة لقضاء حاجة له، وعاد الوالد لينادي أم العروسة باسمها – سلوى -

هنيا هيئي العشاء... لقد جاعوا بلا شك

وبهت والد العريس عندما سمع اسم – سلوى – وازدادت حيرته عندما سمع صوتها، وراح يدقق النظر في ملامحها وحركاتها ومشيتها وكل ما يصدر عنها... وساءل نفسه

أيمكن؟... أيمكن أن تكون هي؟ لقد ماتت

وخرجت الأم لتهيئ العشاء، فاقترب من والد العروس وسأله

هل العروس ابنتك البكر

فأجاب:

أجل... لقد تزوجت منذ خمسة وعشرين عاما... تقريبا

فعاد والد العريس يقول:

يظهر أنكما تزوجتما عن حب

فقال والد العروس:

لا والله خطبها أبي، فوافق والدها ثم تمت الخطبة والزفاف في شهر واحد... إذ أراد والدي أن يزوجني قبل سفري إلى أوروبا لأصحب زوجتي معي كي تعصمني من بنات الغرب وتحميني

ثم يستطرد بصوت خفيض كأنه يخشى أن تسمعه زوجه قائلا

ولا أكتمك أنني تزوجتها مرغما ترضية لوالدي... الذي هددني بعدم مساعدتي ماليا اذا لم أتزوجها... ولكن لم تمر علينا بضعة شهور حتى لمست الفارق الهائل بينها كمصرية عريقة مهذبة جميلة كاملة وبين ابنة الغرب التي لا تشبع القلب، ولا تدفئ الروح

وقاطعه والد العريس ليتأكد من صحة ظنونه

ظننتها قريبتك لقرب التشابه بينكما

فقال والد العروس:

أبدا... هي ابنة المرحوم محمد بك فتحي كان مهندسا، وأنا ابن ممدوح وصفي المحامي.

وسكت والد العريس اذ لم يستطع مقاومة انفعاله لولا دخول أم العروس لتدعوهم إلى تناول العشاء... فتحامل على نفسه، وقاوم شعوره.

وانتهز فرصة خلو غرفة الطعام الا منهما فسألها بصوت خفيض:

لماذا حكمت عليّ بالاعدام؟

فقالت في هدوء

بالعكس... حكمت عليك بالحياة الهنيئة،

والتفتت اليه مردفة

كان لا بد من ذلك حتى أبقي على طمأنينة بيتك وراحة ضميرك وهناء زوجك وأولادك، وحمدا لله الذي جمع بين ولدينا.

وترقرقت عينا الرجل بالدموع وهو يغمغم

كنت أتمنى أن يكون هذا اليوم لنا.. منذ خمسة وعشرين عاما

فقالت:

حمدا لله الذي حقق أمانينا بعد خمسة وعشرين عاما.

فنظر اليها متحسرا متمتما

يا لها من خدعة

فابتسمت وهي تقول

يا لها من حكمة

فقال وهو يقبل يدها

حقا.. الحكمة أقوى من الحب.



الغلاف الأصلي — «الناسك» ١٩٧٢